الجزء السادس


السنة الثانية

(١٥ يونيو سنة ١٩٠١)



✵ سعادة الفاضل عبد الله بك صفير ✵

(مدير قسم الضبط بالداخلية — نال سعادته وسام تاج بروسيا في الشهر الماضي)

القسم العلمي

﴾ الدرع الغريب ﴿

للعامة في الشرق اعتقادات خرافية كثيرة مصدرها الحقيقي الجهل وعدم معرفة بعض الشيء من العلوم الطبيعية والمعارف الضرورية وفي جملة هذه الخرافات العامية قولهم ان بعض الحجب والتمائم تقي الجندي في ساحة القتال من خطر النار والرصاص وتمنع عنه الاذى والضرر واذا انهالت عليه القنابل واصلته ناراً حامية لا يشعر ولا يتأثر ولا ينفذ الرصاص من جسمه . وهم يتغالون ويبالغون في صحة هذا الاعتقاد ويزعم بعضهم انه شاهد بنفسه من حملوا تلك الاحجبة والتمائم فأفادتهم ونفعتهم كثيراً ولكن الحقيقة ان هذه كلها أوهام في أوهام لا تنطلي الا على عقول السذج والعوام وكل ما لا يمكن تعليله من وجهة علمية هو في اعتقادنا فاسد لا يصح التعويل عليه والركون اليه ولو كان لهذه التمائم مثل هذه القوة السحرية والتأثير العجيب كما يزعمون لما استعملها الا أعاظم الملوك والسلاطين وكان الواقفون على اسرارها والعارفون بصنعها من أكبر اغنياء الارض ومثري العالم

على ان العلماء لم يغفلوا امر البحث عن ايجاد طريقة فعالة تقي الانسان شر القنابل والرصاص وفكروا في ذلك كثيراً خدمة للانسانية ورحمة ببني الانسان لانه ما دام ابطال الحرب من العالم قد أصبح من رابع المستحيلات فالواجب اتخاذ الطرق الفعالة لتخفيف ويلاتها وشدة وطأتها على الاقل .

وقد توفق اخيراً احد المخترعين الالمان الى اختراع درع غريب يؤدي وظيفة هذه التمائم والاحجبة الخرافية ولكنه بنى اختراعه هذا على اساس صحيح وقواعد علمية ولم يزعم انه ساحر أو ان في درعه قوة سحرية · اما هذا المخترع الالماني فيدعى (دو) وهو خياط يشتغل بصنع الملابس فاذا لبس الجندي هذا الدرع في ساحة القتال ثم اطلقت عليه البنادق فلا يؤثر فيه الرصاص ولا ينفذ الى جسمه وقد سمي هذا الدرع (درع دو) تخليداً لذكر مخترعه الهمام · ولما اذاع هذا المخترع خبر اختراعه ظن الناس بادي بدء انه يهذي وان الوصول الى هذا الغرض ضرب من المستحيل ولا غرو في ذلك ولا عجب فان هذا كان شأن كل الاختراعات في العالم وهذا كان اعتقاد الناس فيها ولو حدثت احد الناس قبل اختراع المركبات الكهربائية عن وجود عربات تسير بقوة غير منظورة وتنقل المئات من الناس بلا خيل ولا بخار لرماك بالجنون وعد قولك هذا ضرباً من الهذيان والبهتان

على ان (دو) لم يألوا جهداً في تحسين اختراعه والتفنن في اعداده حتى اذا تأكد من نجاحه عرض على أعاظم قواد المانيا ومهندسيها ان يجرب درعه في حفلة حافلة حتى لا يبقى هناك ادنى ريب في صحته وفائدته · فجيء أولاً بتمثال من الجبس على شكل انسان كامل الاعضاء والبسوه الدرع ثم أُطلقت عليه البنادق ونزع عنه الدرع فشوهد ان الرصاص لم يصل الى التمثال ولم يؤثر فيه بالمرة وحينذاك لبس المخترع الدرع وأُطلق الرصاص على صدره من البنادق أولاً وثانياً وثالثاً وهو واقف في مكانه لا يتحرك فضج الحاضرون ضجيج الفرح والارتياح وتعجبوا منه غاية العجب ثم نزع الدرع عن صدره فدهش الناظرون لما تحققوا ان الرصاص لم يصل الى جسمه ونادوا جميعاً بأعلى اصواتهم ليعش المسيو دو وليعش

اختراعه العجيب . وقد سئل المخترع عن اماطة اللثام وكشف النقاب عن سر اختراعه فلم يشأ ان يوضح ذلك جلياً بل اكتفى بالقول ان الدرع مصنوع من صفائح فولاذية موضوعة فوق بعضها بكيفية مخصوصة حتى تتمكن من تجزئة الرصاص وتقطيعه أرباً أرباً فلا تكون له القوة الكافية لينفذ الى الجسم وبين هذه الطبقات من الصفائح بطانة من اللباد تزوغ فيها قطع الرصاص المتجزئة وقد ابتدأت الحكومات تجرب هذه الدرع في ثكناتها الحربية فاقتنعت بنجاحها واعترفت بفائدتها فهذه هي الحجب والتمائم المفيدة وهذه هي نفحات العلم الحميدة وثمرات المعارف النافعة لا ما يزعمه العامة والجهلاء في بلادنا وما يعتقدونه من وجود السحر او تسخير الجن او ما شاكل ذلك من الاباطيل والاضاليل فرحم الله ذلك العلامة الشرقي الذي قال وأجاد في المقال:

ليتَ شعري متى أرى في بلادي ... كوكب العلم والمعارف سائر
فرجال لا يعلمون سوى صو ... فٍ وقطن وسمسم وحرائر
ونساءٌ يبحثن لكن على ثو ... بٍ وقرط وخاتم وأساور
واذا الجهل عمَّ ما بينَ قوم ... أصبح العلم عندهم كمساخر

متفرقات

السحر والالعاب السيماوية



نعود الى الكتابة في هذا الموضوع اجابة لطلب القراء وتنويراً للاذهان وتقريراً للحقائق وقياماً بواجب الخدمة الصحافية . وقد ذكرنا في الجزء الماضي

شيئاً من الالعاب السيماوية وكيفية مزاولتها وتجربتها حتى لا يغتر البسطاء بأقوال المحتالين أو ينسبون هذه الامور التي تقع غريبة امام أعينهم الى قوّة سحرية أو اعتقادات خرافية فاننا الآن في عصر الحضارة والنور وقد بددت أشعة العلوم والمعارف غياهب الترهات والخرافات وصار « فن السيمياء » من الفنون التي لا تخفى أسرارها على عامة المتمدنين واقلهم ذكاءً وعلماً وهذا الفن هو الذى تعزى اليه كل هذه الاعمال الغريبة التى يظنها العامة في بلادنا من السحر وليست هي من السحر في شيء بل ان هذا السحر الذي يهجسون به ويتوهمون وجوده لا أثر له في الحقيقة الاّ بعقولهم السخيفة ومداركهم الضعيفة ونحن نذكر الآن بعض التجارب السيماوية تتمة للبحث الذي بدأنا فيه وتعميماً لنفعه فنقول :

﴿ جعل الورق غير قابل للاحتراق ﴾ خذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادي واغمسها بماء الشب ثم جففها واعد ذلك مرة أُخرى أو مرتين وفي كل مرة يجب ان تجففها جيداً فاذا وضعتها بعد ذلك على لهيب الشمعة لا تحترق مطلقاً

واذا اردت ان تذوب قطعة من الرصاص في قرطاس أو كيس من الورق دون ان يحترق نخذ قطعة مستديرة من هذا الرصاص ولفها بالورق لفاً محكماً ثم ضعها فوق لهيب شمعة او نحوها فيذوب الرصاص من الداخل ويثقب الورقة ويسيل من ذلك الثقب أما باقي الورق فلا يصيبهُ شيء على الاطلاق ويبقى بلا احتراق ٠

واذا أردت ان تضع على النار خيطاً دون ان يحترق نخذ بيضة دجاج ولف عليها الخيط لفاً محكماً والقها بالنار فما دامت البيضة سالمة فلا يحترق الخيط مطلقاً

﴿ حجر السحر ﴾ ضع في حامض من الحوامض أي حجر كان صغيراً

من الجفصين على هيئة عدسة فترى الحجر يدور في الحامض بلا انقطاع حتى يخال للناظر انه حيوان حي او ان يداً غير منظورة تحركه ولذلك يسميه العامة عندئذٍ حجر السحر ولو انصفوا لسموه حجر العلم او حجر السيمياء

﴿ تدوير الصينية ﴾ اذا اردت ان تجعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجالسين فخذ سلحفاة والصق بظهرها قطعة من الشمع العسلي لصقاً تاماً بطريقة التسخين ثم تأُخذ الصينية فتلصقها بهذا الشمع على ظهر السلحفاة بعد تسخين محل اللصق من الصينية حتى تتمكن جيداً و بعد ذلك يجب ان تغطى الصينية بقطعة من القماش ترسل حول اطرافها لئلا تظهر السلحفاء من تحتها ثم ضع بعد ذلك الفناجين ووجهها الى الجالسين ومن المعلوم ان السلحفاة من عادتها ان تدور فتسعى هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر للناظرين ان الصينية تدور من نفسها ولا يخطر على بالهم ان تحتها سلحفاة تحركها · وربما قال بعضهم ان هذه (الصينية مسحورة)

﴿ عملية الحواة ﴾ يرى المارة في الازقة والشوارع في مصر جماعة من المشعوذين يدعوهم العامة بالحواة يمثلون ادواراً من الالعاب السيماوية لا تقل في غرابتها امام الناظرين عن الالعاب السيماوية الافرنجية ولكن الفرق بين السيماويين الافرنج والحواة في بلادنا ان هؤُلاء يتعلمون صناعتهم على قواعد علمية صحيحة واولئك يتوارثونها بالتقليد · وهذا هو السبب في تفنن السيماويين في صناعتهم ووقوف الحواة عند حد معلوم فان المقلد ليست له ملكة الاختراع والتفنن كما لا يخفى

ومن ضمن العاب الحواة المعروفة ادخال بعض أشياء في عيونهم واخراجها من افواههم على مرأى ومسمع من المتفرجين و كيفية ذلك ان يأْخذوا قطعة من

الرصاص أو نحوه بطول قمحتين وسمك قمحة أو أقل و يشترط ان تكون مستديرة من قوامها وطرفيها بحيث لا يبقى لها طرف يخدش داخل العين ثم يأخذون قطعة أخرى على هيئتها تماماً فيضعون الواحدة منهما في فمهم خفية ثم يأخذون الثانية فيدخلونها في اعينهم امام الناظرين في الماق الانسي أي في طرف العين الذي من جهة الانف وهكذا يغيبونها تحت اجفانهم السفلى بالتدريج مع الرفق منحرفين بها الى الجهة الوحشية فاذا غابت كلها أجروا اصبعهم من عند العين الى جهة الخد مديرين اياه بالتدريج أيضاً كأنهم يضغطونها تحت الجلد حتى يوصلونها الى الفم ومتى وصل اصبعهم الى الفم القوا منه القطعة الثانية التي وضعوها فيه بادىء بدء فيتخيل للناظر ان القطعة التي خرجت من الفم هي التي وضعوها في عينهم والحقيقة غير ذلك كما علمنا وقد يمكن ان تعكس هذه العملية أيضاً فيعيدون تلك القطعة الى فمهم و يديرون اصابعهم منه الى العين بعكس ما فعلوه أولاً ومتى أنتهى الاصبع الى العين يضغطون به الى الجفن ضغطاً منحرفاً الى جهة الانف مرتين أو ثلاثاً فتخرج القطعة وتسقط وتبقى القطعة الثانية في الفم فلا يخرجونها الاّ خفية لئلا ينكشف سرّ الصناعة ولكي لا يسمع لها صوت عند اصطكاكها بالاسنان أو تتغير حالة النطق بسببها يضعونها وراء اللثة مما يلي الانياب ما دامت في الفم

على ان هذه العملية تحتاج الى رشاقة غريبة وخفة في اليد عظيمة حتى لا يطلع الناظر على شيء من دخائلها مهما دقق النظر وأمعن الفكر وهذا هو المعول عليه في صناعة الحواة والسيماويين كما قلنا أكثر من مرة

البقية بعد

باب السؤال والاقتراح

ماء البحار

(مصر) موسى افندي أمين

لما ذا يكون ماء البحار ملحاً أجاجاً وماء الامطار الناشيء عنه عذباً ؟

﴿ المفتاح ﴾ ان ماء البحر يكون ملحاً لانَّ فيه بعض املاح مختلطة به وهي ناشئة من المعادن التي توجد في قاع مجراه وفضلاً عن ذلك فانها متشبعة بمواد قارية (زفتية) وهذا هو سبب مرارته التي لا تطاق وزد على ذلك أيضاً انه يحتوي على مواد عضوية آتية من تعفن جثث الموتى التي تلقى فيه كل يوم

وأما ماء الامطار فيكون عذباً مع ان أصله من ماء البحر لانه حين تبخره يترك الملح الذي كان متشبعاً به وكذلك كل المواد الثقيلة الأُخرى التي لا يمكن أن تتطاير كالبخار

الدراجات البحرية

(ومنه) — حدثني احد الاصدقاء انه يوجد دراجات بحرية (بيسكليت) تسير على سطح الماء في البحار ونحوها بكل سهولة فهل هذا صحيح ؟

﴿ المفتاح ﴾ نعم توجد دراجات بحرية تسير على سطح الماء بكل سهولة وسنأتي في الجزء الآتي على وصف هذه الدراجات موضحة بالصور والرسوم اتماماً للفائدة وتعميما للنفع

النبات في غير الارض

(مصر) ابراهيم افندي عثمان

نرى بعض الحشائش فوق ذرى المنائر وعلى جدران المنازل وما أشبه ذلك من المرتفعات مع انه لم يزرعها احد ولا هي في مكان يصلح للزرع فما تعايل ذلك

المفتاح ان الغبار الذي يثيره الهواء قد يكون متحملاً ببعض جراثيم هذه الحشائش فيتركها فوق تلك المرتفعات ثم يأتي عليها ماء المطر فينبتها ولا سيما اذا كانت في نقطة تمكنها من الانبات

تأثير الرطوبة وتجمد الماء

(ومنه) لماذا تتقطع اوتار العود المشدودة اذا كان الجو رطباً ٠ ولماذا لا يتجمد الماء الجاري كالماء الراكد ؟

المفتاح أما عن السؤال الاول فنجيب ان الرطوبة أي الماء الآيل الى بخار ينفذ في الاجسام فيمددها و يزيد بذلك حجم هذه الاجسام مثال ذلك الورق ورق الغزال وجميع أنواع الخشب والاغشية الحيوانية فانها تتمدد وتصير سميكة عندما تشتد الرطوبة أما انواع الحبال مثلاً فهي على عكس ما ذكر لانها مكوَّنة عن الياف قصيرة رقيقة ولذلك فهي تنتفخ ويندمج طولها في سمكها عند اشتداد الرطوبة لان الطول الذي يزيد في الخشب وغيره هو آتٍ من الطول الذي اكتسبته الالياف نفسها فالاوتار المشدودة شداً كثيراً تتقطع بمجرد إزدياد توترها لنفوذ الرطوبة

وأما عن السؤال الثاني فنجيب ان ذرات الماء الجاري نظراً لدوام حركتها لا تأخذ الشكل المكعب الذي لابدَّ منه عند التجمد وهناك سبب

اعظم من ذلك أيضاً وهو ان حركة الذرات تسمح لحرارة الطبقات السفلى بحرية المرور من خلال الطبقات العليا فتعوض موقتاً الحرارة التي فقدت في الجو وهكذا على التوالي

القسم الأدبي

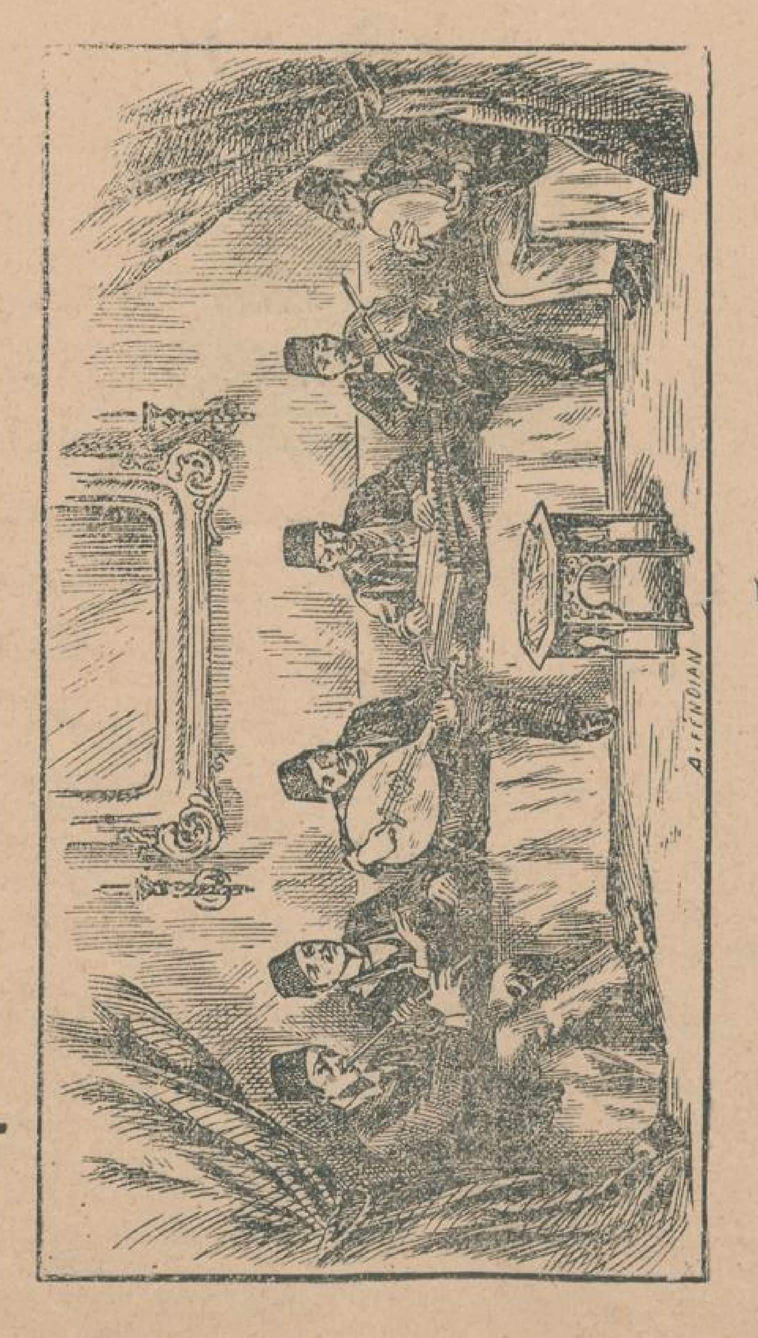
الغناء العربي

مات في هذه الاثناء رجلان عظيمان برعا في فن الموسيقى والغناء براعة تفوق حد التصوّر أحدهما شرقي مصري وهو المرحوم عبده الحمولي وثانيهما غربي ايطالي وهو (فردي) وكلاهما كانا آية في البراعة والتفنن وموضوع اجلال قومهما واعجاب اهل بلادهما ولو ان الأوّل منهما أولى بالاعجاب لانه برع في مهنته بلا مرشد ولا معلم ولم يساعده على اتقان صناعته درس قواعد علمية أو اصول فنية بخلاف الثاني الذي توفرت لديه كل هذه الشروط ولا نخال القاريء ينسبنا الى الغرض او يرمينا بالتعصب للوطنية اذا نحن جاهرنا بهذا القول وان كان هذا التعصب في حد ذاته ليس بمذموم . ومهما كان الحال فقد مات الرجلان وخلفا لهما في القلوب منزلة سامية ومكانة عالية هيهات ان تقوى على اضعافها يد الايام

ولما كانت الامور مرهونة باوقاتها ولكل مقام مقال فقد عنّ لنا الآن ان نكتب كلمة مختصرة عن الغناء العربي وما وصلت اليه حالته الراهنه وما سيؤول اليه أمره بعد موت هذا المطرب الشهير

الغناء من الفنون الجميلة وهو فن كمالي مستحب وله في كتب المتمدنين قواعد واصول مطردة يعد الخروج عنها شططا وخطأً لا يغتفران عند اهل الفن والمؤلفات الموضوعة عندهم لهذا الغرض كثيرة لا تعد ولا تحصى . والموسيقى اسم لعلم من العلوم الرياضية وفرع من العلم الطبيعي واسمها يوناني تعريبه علم النغم وموضوعه الصوت من حيث تركيبه مستلذاً مناسباً لا تنافر فيه

وهذا العلم خمسة اقسام الأول معرفة النقرات على آلات مخصوصة وكيفية تأْلف الاصوات منها والثاني صناعة الايقاع ونسبة الايقاع للحن بمنزلة الاسباب والاوتاد لعلم العروض والثالث معرفة تصليح نغمات الآلات وكيفية التغيير من نغمة الى أُخرى بواسطة دوس الاصابع اذا كانت الآلة كالعود والكمنجة أو بشد بعض الاوتار وارخاء بعضها اذا كانت



(تخت آلاتي مصري)

الآلة كالقانون والرابع علم تفكيك الدائرة وبيان ما بين المقامات من النسب مثل الركبي والرمل في اصطلاح المغنين والخامس علم التلحين وهو رد الموشحات والاشعار الى نغمة مخصوصة بطريقة مخصوصة والقاعدة فيه راجعة الى العروض في الحقيقة فان ما كان من بحر البسيط مثلاً يعمل من الحسيني بالرفع على مستفعل والخفض على فاعل الخ .



﴿ الضرب على العود ﴾

والنغم صوت يصدر عن حركة اهتزازية لجسم رنان يضطرب به الهواء زمناً والتلحين هو ما تألف من نغمات بعضها عالٍ وبعضها منخفض على نسب معلومة فالنغم للتلحين كالاحرف للكلام والايقاع هو الضابط للمغنيين حتى لا يسبق أحدهم الآخر

وقد اختلف الناس في أوّل من وضع هذا الفن فقيل يوبال بن قايبل وقيل لامك من اولاد نوح وقيل ان ذلك كان في زمن الاسكندر ذي القرنين حيث استنبط الحكماء في ذلك العصر فن الموسيقى من العلوم الرياضية وروى كثيرون ان أوّل من وضع فن الموسيقى بطليموس الحكيم حيث ألف فيه كتاباً سماه (اللحون الثمانية) وعلى كل حال فقد اجمع الباحثون على انه من الفنون القديمة وقد كان معروفاً منذ عدة قرون عند اكثر الشعوب كاليونانيين والصينيين والمصريين القدماء وللغناء تأثير غريب ووقع اغرب على النفوس والاجسام فبواسطته تندفع العساكر في ميادين الحروب وبه تقوى الاجسام على

احتمال الاعمال الشاقة وقد تسكن بواسطته ثورة الغضب والانفعال و به تسكت الأُم طفلها الرضيع اذا بكى وقد يبكى السامع اذا كان محزناً مؤثراً



﴿ الضرب على القانون ﴾

بل ان للغناء من التأثير ما هو أعظم من ذلك كله فقد يكون أحسن علاج للامراض العصبية وتسكينها او شفائها كما ثبت بعد التجربة والاختبار · وليس الانسان وحده هو الذي يتأثر من الالحان والنغمات بل قد يشترك معه في هذه المزية كثير من أنواع الحيوان كالابل والغنم والبقر والخيل فهي تتعزى بالغناء في تعبها وترد الى الماء بالصفير و يقال ان البقرة تدر لبناً كثيراً اذا سمعت غناء مطرباً ونحو ذلك · بل قد تغالى بعضهم في القول وزعم انه توجد شجرة تسمى شجرة العاشق اذا وقف انسان امامها وغنى يتناثر زهرها وان هذه الشجرة ورقها كورق الحناء وزهرها اصفر وطولها من ذراعين الى ثلاثة

هذا ما يقال على وجه العموم عن هذا الفن اما حالته في بلادنا فهي في اسواء الحالات ولو لا ظهور بعض النوابغ المجتهدين بين رجاله الذين بذلوا قصارى جهدهم في تحسينه واتقانه لرمي بالكساد واصبح مبتذلاً مستهجناً لا لأن هذا الفن ليس له عندنا قواعد واصول يرجع اليها فقط ولا لأن المشتغلين به اغلبهم من المتطفلين وفي حالة الفوضى بل لان نفس الاغاني العربية الموضوعة للتلحين كلها حديث خرافة وعبارات بذاءة ولغط ولغو لا معنى لها واكثرها

بلغة عربية دارجة كريهة ركيكة فأول اصلاح يجب الالتفات اليه في تحسين هذا الفن هو وضع الادوار الغنائية المفيدة كأن تكون وطنية حماسية او حكمية أدبية أو غرامية تهذيبية كما هو الحال في كل الالحان الافرنجية وهذا الذي يجعل العقلاء من محبي الالحان يصبون الى سماع قصائد التشخيص اذا استعملت للغناء على المراسح اكثر مما تصبو نفوسهم الى سماع المطربين في حفلات اللهو والطرب ولهم الحق في ذلك لانه شتان بين الكلام المركب المفيد المملوء من الحكم وحسن الطلاوة والانسجام و بين التراكيب الفاسدة الركيكة والمسؤول عن ذلك هم شعراؤنا المجيدون الذين يجب عليهم ان يضعوا ما يحتاج اليه الفن من مثل هذه الادوار .

ومن الواجب أيضاً ان تدون الكتب الخاصة لهذا الفن وتكون قد توفرت فيها هذه الشروط المتقدمة . هذه امنيتنا نرجو ان يعيرها الشعراء واهل الفن جانب الالتفات وحسبنا ان تصادف منهم اقبالاً وقبولاً . وقبل ختام الكلام في هذا الصدد لا بأس من ان نأتي هنا على كلمة فكاهية لها علاقة كبرى بموضوعنا فنقول :

حدثنا أحد الاصدقاء ان احد كبار سياح الانكليز حضر حفلة عرس ذات ليلة في دار أحد سراة مصر العظام وقد رأى الناس احتشدوا زرافات ووحدانًا حول المغني وهم يضجون ضجيج الفرح والسرور و يهتفون هتاف الاستحسان فسأل مترجماً له عن تفسير ما يقوله المغني بلغته وكان دور الغناء وقتئذ الدور المشهور وهذه بعض عباراته (حبيبي شفوه لي ياناس . شرد مني وفي يده الكاس . كوى قلبي ما يصح ياناس . اترجاك تعمل معروف) فضحك السائح من ذلك وقال لمحدثه واعجباً وما الذي يوجب الانبساط في هذه الاقوال الساقطة ومن ذا الذي يقول للناس ان تفتش له على حبيبه دون ان ينهض هو للبحث عنه الا اذا كان خامل الهمة فاقد الاحساس اه

هذا ما يقوله الاجانب عن فن الغناء عندنا فليتدبر العقلاء منا فيما يجب عليهم ان يفعلوه تداركاً لهذا الحال والله ولي الهداية والرشد

المناظرة والمراسلة

المرأة الروسية

حضرة الفاضل منشيء المفتاح الاغر

يشتغل الرأي العام في مصر الآن بحالة المرأة ومركزها في الهيئة الاجتماعية على أثر ظهور مؤلفات سعادة الفاضل قاسم بك امين وقد أفاض الباحثون والكتاب الشرح في هذا الصدد واسهبوا في الكلام كثيرًا بين مصوب ومخطئ وقد عثرت في هذه الاثناء على كتاب نفيس باللغة الفرنساوية يتضمن البحث عن حالة المرأة في كل بقعة من البلاد الاوربية على حدتها فأحببت تعريبه الى لغتنا العربية الشريفة عسانا نستفيد من مقارنة حالة المرأة عندنا بحالتها في تلك البلاد واني أبعث اليكم بتعريب الفصل الأول من هذا الكتاب النفيس وهو يختص بالبحث عن حالة المرأة الروسية لتنشروه بين صفحات مجلتكم الزاهرة افادة للقراء وخدمة للحقيقة ودونك هو:

بديهي ان لموقع البلاد ومجاورتها لسواها تأثير على عوائد واخلاق قطانها ولهذا كان وجود بلاد الروس على تخوم آسيا من أهم الاسباب لتغيير اخلاق اهلها ومشاربهم عن بقية بلاد أوربا ولو ان مبدأ الزواج بعدة نساء (العادة الشرقيه) لم يشع بينهم غير ان المرأة في الطبقتين الوسطى والعليا بقيت مدة طويلة محرومة من التربية مقيدة بسلاسل العزلة والانفراد أو كما يقول النشيد الروسي العامي (وراء ٢٦ قفلاً) ولا تزال الروسية حتى الآن خاضعة لسلطة الاب والزوج وان تكن حرة التصرف في أموالها لان ثروتها وما تربحه يبقى تحت تصرفها ولا يجوز للزوج ان يتداخل في ادارته والاشتغال به بغير تصريح خاص

ومن قديم العوائد المعمول بها حتى اليوم في البلاد انه يجوز تداخل المرأة الروسية في الشؤون الادارية ومن حقها في بلاد الريف متى كانت زعيمة اسرة ان تأخذ قسماً من الاراضي الزراعية التي تقسم سنويًا ويجوز لها الاستيلاء على هذا الحق ايضاً متى

كان زوجها غير كفء لادارة الاعمال ومن حق السيدات أصحاب العقار في المدن اللاتي يدفعن الضرائب ان ينتخبن في عضوية مجالس الاقسام والبلديات مع الحرية في العمل والتصرف

وقد بديء بتحرير المرأة الروسية وفك قيود عبوديتها منذ أيام بطرس الاكبر (من سنة ١٦٨٩ الى ١٧٢٥) اذ أصدر جلالته أمراً بمنع الاحتجاب . وهذه كانت أول خطوة في سبيل التقدم اذ تمكنت المرأة من استنشاق نسيم الحرية بعد ان كانت تذهب ضحية العوائد والنظامات الاستبدادية او تلجأ رغم انفها الى الادمان على السكر أو التصوف والتفرغ للعبادة مما يذهب بعقلها و ينظمها في سلك المجانين

نعم ان بطرس الاكبر قد أضر المرأة الروسية من الوجهة التي ظن فيها الخير اذ دفع بها الى عالم الحياة بدون علم او تربية فلم تعرف تستعمل الحرية استعمالاً حقيقياً وسط ملأ الزعانف ولذلك فشا الفساد وعمت الفوضى العالم الروسي بأجمعه غير ان الامبراطورة كاترينا الثانيه (١٧٦٢ — ١٧٩٦) نظرت الى حال المجتمع الروسي نظرة الحكيم فتبين لها مكمن الداء ورأت ان لا دواء بغير التربية والتعليم فبعثت الى مشاهير رجال العصر المعروفين بسعة العلم والاطلاع مثل فولتير وغيره تطلب منهم ارسال فتيات عارفات بفن التربية لتثقيف عقول الروسيات

وكان فولتير وقت ذاك مقيماً بسويسرا فعرض المسئلة على مجلس جمهوريتها ولما نظر الاعضاء في الطلب اقروا باجماع الآراء على الامتناع عن اجابة الطلب اذ ان المرأة التي اتهمت بقتل زوجها (كاترينا) ويعرف لها جملة عشاق لا يمكن ان تسعى في اعلاء منار الآداب في بلاد ولكن هذه السفاسف لم تثبط عزيمة المليكة اذ غضت النظر عن سويسرا وأتت بمدرسات من بلاد سواها وتمكنت من افتتاح مدرسة داخلية لتعليم الإناث وتثقيف اذهانهن فكنّ يتعلمن فيها العلوم الابتدائية واللغة الفرنساوية والرسم والموسيقى والرقص وآداب المسامرة الخ من المعارف التي وان كانت لا تعد الآن شيئاً من العلم الحقيقي غير انها كانت تحسب وقت ذاك أقصى درجات المدنية والعلم .

وتلت ذلك حروب نابوليون والانقلابات السياسية التي حدثت في خلال أيام القيصرين بول واسكندر الأوَّل فوقفت حركة التقدم النسائي في روسيا لمناسبة هذه الظروف .

ولكن الرغبة في الخروج من ربقتي الاسترقاق والاحتجاب لم تزل تتغلغل في الصدور وتنمو في بعض الافئدة خصوصاً وقد عرفت المرأة الروسية الفرق العظيم الكائن بين الارادة واتمام العمل وظهر لها ان خريجة المدارس لم تكن تعتبر امام العالم الأدبي بالروسيا الا بصفة حيوان ناطق هو عنوان الجهل المطبق ومع ذلك لم يبدأ باصلاح طرق التعليم وانشاء المدارس التجهيزية في روسيا الا منذ عام ١٨٥٧ والذي سهل ذلك ميل الامبراطور اسكندر الثاني لادخال الآراء الجديدة في سلطنته وبالأخص رفع نير الرق عن افراد الجنس اللطيف وكان يساعده على اتمام بغيته الامبراطورة هيلانه بافولنتا وخالته وكلتاهما كانتا السبب الاعظم في تأسيس المدرسة الجامعة التي تمَّ انشاؤها بسنت بترسبورج في عام ١٨٥٧ بيد ان هذه المدرسة لم تكن داخلية كأشباهها من مدارس البلاد الاجنبية كما تخالفها في ان أبوابها كانت مفتوحة لقبول البنات من كافة الطبقات كذلك كان نظامها وبروجراماتها مباينة لنظامات مدارس الصبيان أما التعليم فيها فكان حقيقياً مفيداً لكل طالبة

وفي روسيا الآن من المدارس الكلية ٣٥٠ مدرسة بها ١٠ آلاف طالبة وعند خروج التلميذات من هذه المدارس تدخل حاملات البكالوريا الى المدارس الكلية العالية التي تقرر فتح أبوابها عام ١٨٦١ بعد معارضة ومقاومة من رجال الحكومة زمناً طويلاً . واكثر المتخرجات يملن للاشتغال بحرفة الطب فيتحصلن على رتبة الدكتورية ثم يعين في الاورط الحربية او أقسام نظارة الحربية أو اكادمي الطب وتوجد منهن واحدة تشتغل بصفة طبيبة بمعسكر قوزاق بشكير . واكثر طالبات الروس فقيرات أو محرومات من المساعدة لأنهن يتركن منازل ابائهن فيتضين زمن الدراسة متقلبات على جمر الذل والتعاسة

وطالما أحبت الحكومة الروسية ان تمنع تعليم البنات العلوم العالية وفعلاً حاربت

كل متعلمة حرباً عواناً ففي سنة ١٨٦٠ أمرت بايصاد أبواب المدارس العالية الحرة في وجوه الطالبات . ومن هذا الحين اتجهت رغائب محبات العلم الى طلبه في المدارس الاجنبية فذهب فريق منهن الى كليتي جوتينج وهيدلبرج وهنالك نلنَ ما ابتغينه وكلل مسعاهن بالنجاح التام

وبقيت المرأة الروسية متروكة بلا مساعد على أوقاتها حتى شكلت لجنة برئاسة مدام كوناردي عام ١٨٦٧ وبعثت عريضة الى أول مؤتمر طبي عقد بالبلاد الروسية . ومؤدى هذه العريضة التماس اعادة فتح المدارس العلياء للنساء البالغات اللاتي تظهر نجابتهنَّ وكفاءتهنَّ فقوبلت هذه العريضة بما تستحقه من العناية وباجماع اراء مشاهير الاعضاء قدمت الى نظارة المعارف ولكن مضت عليها ثلاث سنوات بدون ان ينفذ منها شيء ففي عام ١٨٧٠ نبهت اللجنة المؤلفة برئاسة مدام كوناردي جناب وزير المعارف الى تأسيس جمعيات تلقى فيها الآداب الروسية والعلوم الطبيعية على جنسي الذكور والاناث مشترطة ان يكون زمن هذه الدروس سنتان ويمنع كل من دخلها من التلامذة والتلميذات من الانتظام في سلك الكليات العالية (البقية تأتي) توفيق حبيب

العلماء والاغنياء

حضرة الوطني الغيور صاحب المفتاح الاغر

لي كلمة أريد ان أقولها عن مركز العلماء والاغنياء ودرجة منزلتهم في الهيئة الاجتماعية فياحبذا لو افسحتم لي مجالاً بين صفحات مجلتكم الزاهرة فأقول :

اذا رأيت أيها القارىء الكريم ان اخوانك الرجال في كل مجال يرحبون بالعلماء ويكرمون وفادتهم كما كان يجري ذلك مع أهل الفضل والعلم في زمن الخلفاء العباسيين والملوك الرومانيين الذين كانوا يجلون قدرهم ويرفعون منزلتهم فوق منزلة الناس اجمعين ورأيت من الناس الانكباب على مطالعة المجلات العلمية والارتشاف من مناهل فوائدها العذبة فاعلم وتيقن ان البلاد راقية مراقي النجاح والفلاح وانه قد تصافح فيها العلماء والاغنياء الذين هم الأخان الشقيقان والصنوان الكريمان والعاملان الأولان في

توسيع نطاق الحضارة والعمران واذا رأيت ان النساء من جيران أو أقرباء أو اخوات وأمهات ينفرن من الجرائد العلمية و يرفضن تلاوة ما فيها من النصائح التي تحثهن على ترك الخذعبلات وعدم الوثوق بالدجالين والمنجمين وضرابي الرمل والودع وأهل الطوالع والمتكلمين بالضمير وعمل الاحجبة والتمائم وقياس الأثر ودواء المربوط والعقم وقطع الولد بالمشاهرة بحجر الكباس وأكل رؤوس العقارب المحمصة على النار وفتح كتاب البخت واستخراج الحبة والصداع والقرينة والنقريفة والتلويحة والتنفيخة و بطحة الشمس وتراب دم الاقارب المقتولين للحبل · ووجدت ان هذه الاعتقادات الفاسدة لم تؤثر فيها أنوار العلوم وتبدد جيوش غياهبها فاعلم ان مثل هذا الجهل ما سكن ربوعاً الاَّ أحرقها ولا استوطن نجوعاً الاَّ مزقها ولا فشى في بلدة الا أبادها ولا حل في قبيلة الاَّ كان علة افسادها وعندئذٍ فاندب سوء حظ البلاد وساكنيها واقطع كل أمل من شفائها وتعافيها · واللوم عندئذٍ لا يكون على العلماء ولا على كتاب الجرائد ومحرريها لكونهم لم ينبهوا الاذهان و ينوروا العقول بارائهم السديدة ونصائحهم المفيدة بل قد يوجه اللوم بنوع أخص الى جماعة الاغنياء الاغبياء الذين يأبون ان يمدوا يد المساعدة لنشر المعارف وتعميم العلوم بين عامة الشعب و يظنون انهم انما وهبوا المال لينفقوه فقط في سبيل ملذاتهم الذاتية وشهواتهم البهيمية وليس هذا حال أخوانهم الاغنياء في بلاد الحضارة والمدنية الذين ادركوا ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات الوطنية فلا يمضي يوم الاَّ وتوافينا الانباء البرقية والاخبار البريدية بان زيداً وهب نصف ثروته لمساعدة الاعمال الخيرية وعمراً وقف كل ما يملكه لتعضيد المدارس والمكاتب العلمية

أيظن الاغنياء في بلادنا ان الثروة تكون وحدها كافية كافلة للانسان السعادة والترقي الأدبي وانزاله في النفوس منزلة عظمى لا لعمري ان الدراهم مهما كثرت وعظمت لا تغني عن الانسان فتيلاً في جانب السخرية به وتحقيره متى كان خالي الوفاض مما يرفع الانسان عن درجة الحيوان وهو اذا لم يبذل المال في سبيل النفع العام وترفع له في ساحات الفضل والمآثر رايات واعلام

فهذا الذي ان عاش عاش محقراً　　وان مات لم تحزن عليه أقاربه

ومن المضحكات المبكيات ما رواه لي أحد الاصدقاء قال : ان أحد الاغنياء الاغبياء قصد ذات يوم ادارة إحدى المجلات العلميه ومعه ورقه سودت صفحاتها وطلب اليه ان ينشر ما بها في مجلته لانها على زعمه قصيدة لغوية رقيقة نظمها أحد محاسيبه مدحاً فيه فتناولها ذلك الصحافي واذا به يرى فيها هذه السطور :

قريط بطيط بشرميط مشريط　　عطيط عبيط شط نط كقبوطي
نطيط خريط قرنبيط بشوطه　　نبيط طبيط مستحيط علي الطوطي
يشحط في البر حوط طرياط بقطه　　ويشخط بطاً من سحيط المنفلوطي
ويلبط وطواطاً بتخبيط خبطه　　اذا برمطت وقت الرطوط بطنطوطي

قال الراوي فضحك الصحافي من غباوة ذلك المثري الذي دلَّ بفعله هذا على انه أمي جاهل وافهمه بلطف ما تحتوي عليه هذه الوريقة من الاقوال الخالية من كل معنى حتى خجل من نفسه وخرج يجر مطارف الخزي والعار . فان كان هذا ياقوم شأن اغنيائنا ودرجة آدابهم ومعارفهم فقل على التقدم والنهضة السلام

قاسم هلالي
مهندس عموم ري قبلي

الحب أمام الوطنية (١)

اذا اجتمعت في القلب عاطفتا الحب والوطنية وتجاذبتاه فأيتهما تقوى : هذا هو السؤال الذي نجيب عليه بعد ما نسرد واقعة حقيقية تنازع فيها القلب عاملا الحب والوطنية ومن سياقها يفهم سرّ هذه المسألة ويهون الجواب عليها .

كان في بلدة نوجنت من اعمال فرنسا رجل الماني يتعاطى أعمال التجارة اسمه ليان سيمون وكان خبيراً بطرقها حتى انه جمع ثروة غير قليلة منها وبعد ما كان قاصراً همهُ على تجارة الصناعة المعدنية كطواقم المائدة وغيرها وسع نطاق

(١) بقلم حضرة صاحب الامضا

اعماله حتى صار اكبر اغنياء اهل البلدة وكان لهذا الرجل بنت وحيدة في العشرين من عمرها رزقها من امرأة فرنساوية كان تزوجها وبقي معها سنتان وتطلقت منه وماتت بعد سنة وكانت هذه البنت الوحيدة مضرب المثل بالجمال وارثة عن أبيها الدلال الالماني وعن أمها الذكاء الفرنساوي وبعد ما وصفنا ثروة أبيها وجمال صورتها وذكاءها فلا نحتاج الى اطالة القول في كثرة المتقدمين الى خطبتها من أبيها وهو مع ذلك كان لا ينقض ولا يبرم أمراً ما لم يستشرها وهي لم تكن ترضى بأحد من المتقدمين لخطبتها حتى عجب أبوها ولكنه لم يكن جاهلاً أسرار القلوب ولذلك ترك لها حرية التصرف وكان في جوار منزل هذا الالماني منزل حقير تقطنه أرملة وابنها الوحيد وكان شاباً في الخامسة والعشرين من عمره جميل الطلعة رشيق القوام حسن البنية محبوباً من جميع اهل البلدة لما كان في فطرته من اللطف والدعة وكرم السجايا واباء النفس

فاتفق ان ابنة الالماني رأت هذا الشاب ذات يوم أمام باب منزله فمالت اليه وتعلقت به وصارت لا تريد سماع أي خطاب وجهه اليها أبوها متعلق بزواجها على ان أباها لم يكن عالماً بسر قلبها الحقيقي

ومن المعلوم ان نيران الحب لا تبقى تحت رماد وأقل عاصف يثير ضرامها وهكذا لم تطق الفتاة الالمانية الصبر مدة طويلة على تغذية قلبها بحب الفتى جارها بدون اعلامه فاكثرت المرور من أمام المنزل في الاوقات التي كانت تعلم وجوده فيها وفي كل مرة كانت ترسل اليه من عيونها رسلاً تدعوه الى الهوى أما هذا الفتى فحين وقعت عينه على ابنة جاره التي لم يكن رآها الآ في صغرها حيث انه كان في المدرسة العسكرية كل السنين الاخيرة مال اليها قلبه وزاد الميل حين رأى منها الانعطاف اليه

ولا نرى حاجة لتفصيل انعقاد عروة الحب بين الفتاة الالمانية وجارها بل نقول ان ذلك تمَّ كما يتم عادة ولم يمض شهران حتى مهد طريق الاجتماع بينهما ولم يزدها ذلك الاَّ حباً وغراماً وأخيراً اتفقا على ان يخطبها من أبيها وعلى ان تلزم أباها بالرضي به وان لم يكن بينهما نسبة الثروة وقد كان ذلك ولم يتأخر أبوها عن زفها لهذا الشاب الذي رآها تميل اليه

ولكن بينما كان كل هذا يتم بالاحتفال والسرور كانت تبكي له فتاة فقيرة في زاوية بيتها وهذه الفتاة هي ابنة عمة الفتى الفرنساوي وقد تربت معه وأحبته حباً شديداً ولكن الحياء وصلة القرابة كانا يمنعانها من التصريح بما في قلبها من الميل اليه فلما رأته خطب الفتاة الالمانية صغرت نفسها وبكت أملها ولكنها مع ذلك لم تكن تجهل الفرق بين ثروة هذه الفتاة وفقرها ولذلك لم يطاوعها حبها احرمان ابن خالها من نصيب يعود عليه بالعز والثروة وصممت على ان تكتفي بلذة البكاء في زاوية منزلها وأخيراً دخلت الدير ولبست الثوب الاسود راضية بعبادة الله نصيباً

ولم تمض على خطبة الفتى الفرنسوي للفتاة الالمانية شهران حتى شبت نار الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا ودعى صاحبنا لحمل السلاح لدفع عدو وطنه ودعى أبو الفتاة ايضاً لحمل السلاح لنصرة قومه وحينئذ عز بين الخطيب وخطيبته اللقاء وتمكن بينه وبين ابيها النفار وفي أكثر من واقعة اجتمعا في موقف قتال

ولكن هل انطفأت نار الحب بين الفتى وخطيبته وهل نسيت هذه الالمانية انس لقائها بحبيبها الذي كان كل أملها من الدنيا والذي لم تكن تحيى ساعة لولا أملها بالاقتران به بعد مدة قصيرة وهل نسي هو حبها اياه وتعلقها به وهل كان الواجب الوطني يلزمه بقتل حميه ابي خطيبته أو يلزم هذا بقتله ومهما كان رأينا في هذه المسألة فقد كان للواجب الوطني في عيني الفتى وحميه المزمع اجلال

عجيب اهملت امامه علائق القرابة ولكن ما بينه و بين الفتاة من الحب الصافي
بقي في محل مقدس وكان من يوم الى آخر يشتد بهذا الفتى جواه و يثير في
صدره لاعج هواه حتى لم يعد يطيق الصبر على فراق خطيبته التي ابلغته انها لم
تطاوع اباها في حل ميثاقها معه وقد فاتنا ان نذكر ان هذا الشاب كان قد تعين
لما ظهر منه من آثار البسالة في اركان حرب قائد الجيوش و بلغ ذلك أبو خطيبته
فحدث نفسه في استخدام حب الفتى لابنته في سبيل الوقوف على اسرار الجيش
الفرنساوي ولكنه كان يعلم شدة حب ابنته له وفي آخر الامر أخبر قائد الجيش
الالماني بما عزم عليه واتفقا على ان يوكلا بهذا الامر امرأة القائد وقد كان
ذلك وذهبت لزيارة الفتاة واهدتها سواراً ماسياً ذا قيمة واجتهدت في تمكين
صلاة الوداد معها ولما تم لها ذلك وصارت كل منهما موضع ثقة صديقتها حادثتها
بما تحتاج اليه المانيا وطنها منها اما الفتاة فكبر عليها هذا الأمر واجفلت منه
وتصورت امام عينيها فظاعة الخيانة التي يطلب منها اتيانها مع الفتى الكريم الواثق
بحبها ولكنها لا طفت امرأة القائد ووعدتها بالسعي في خدمة الوطن على قدر
طاقتها ثم انفصلت والفتاة مملوءة غيظاً واتفق ان خطيبها أُصيب بجرح
في احدى الوقائع وحمل الى منزله وعولج وضمد جرحه ولكنه بقي ملازماً بيته بناء
على اشارة الطبيب وكان الالماني من حين شبوب الحرب ترك منزله في باريس
وسكن في منزل كائن في الحدود الالمانية ولذلك لم يعد ممكناً للفتى انه يرى
خطيبته فكاد يذوب شوقاً اليها وكان يعرف رجلا فرنسوياً مسناً كان في
خدمة محل ابيها التجاري فقصده وكلفه بأخذ رسالة منه اليها فأطاع هذا الرجل
الشيخ وسافر الى الحدود وتمكن من الوصول الى منزل سيده الالماني الذي كان
غائباً حينئذ في الغزوات وسلم الرسالة الى الفتاة فلما قرأتها كادت تطير نفسها شعاعاً

وعدمت الصبر على فراق حبيبها وطلبت من هذا الرسول ان يرافقها لترجع الى فرنسا خفية عن ابيها فلم يجد بداً من اطاعتها وحينئذ تردت برداء جندي فرنساوي وسارت مع هذا الرسول في جنح الظلام الهادي• قاصدة موضع املها ووجهة حبها

واتفق ان أباها لم يرجع الى منزله في سبعة أيام نظراً لكون الجيوش الالمانية كانت دخلت في بلد الفتى الفرنساوي الذي كان قد شفي تمام الشفاء ورجع الى الحرب والكفاح فلما وصلت الى منزله ورأت أمه بكت بكاءً مرّاً وسألتها عنه فأخبرتها انه في الحرب فلم تتأخر الفتاة ساعة عن اللحوق به وكانت متخفية تحت أثواب الرجال .

ووصلت الى الجهة التي كان فيها خطيبها وهو ثمل بخمرة العراك واذا برصاصة اصابتها فصاحت ياجوليان وهو اسم خطيبها ولم تكد تلفظ هذا الاسم حتى كان جوليان لديها وظنها لاول وهلة جندياً فرنسوياً ولكن كم كان عجبه واسفه عظيمين حين رأى ذاته امام خطيبته فنزل عن ظهر حصانه واخذ يبكي و ينتحب وحملها على ساعديه وأراد الذهاب بها خارج الصفوف ولكن اصابته رصاصة فوقع هو واياها وغاب كلاهما عن عالم الحس وهما متعانقان وكانت الموقعة قد ازدادت اشتداداً واختلط رجال الجيشين المتحاربين واذ ذاك مرّ ابو الفتاة الالماني ورأى هذين الجريحين يتخبطان بدمهما الممتزج فرفع سيفه ليجهز عليهما فضرب الفتاة أولاً فصاحت من هول الضربة وافاقت وعرفت اباها فصرخت يا أبت فاضطرب الالماني واندهل وخفق قلبه اذ سمع صوت ابنته ونزل عن ظهر جواده ورآها على آخر رمق فوقع مغشياً عليه واذ ذاك اصابته رصاصة في موضع قاتل ففارق الحياة وحينئذ صحا الفتى وعرف حماه واشتد به و بالفتاة العجب والحزن . ثم مرّ بهما أحد الرهبان المعينين في خدمة جرحى الحروب فسعى في حملها ولكنهما لم يصلا الى موضع الامن حتي فارقت الفتاة الحياة وهي تقول لحبيبها الحب قبل الوطنية وهكذا ذهب هؤلاء الاقوام شهداء وطنية وغرام

(ا.ع)

وما زالت هذه الاحلام أو الاوهام تنتاب قلبه فيرتاح لها فؤاده حتى وصل الى باب القصر وقد ابرقت أَسرته وظهرت على محياه امارات الارتياح وهو لا يعلم ما خبأَته له يد الاقدار في عالم الغيب

لما فتح الباب ودخل الى ردهة القصر وجد كل شيء في مكانه كما تركه وليونار المسكين جالساً وراء ذلك الباب وقد أسند رأسه الى يده وهو غارق في بحار الهواجس والاحزان فلم يعبأ به ولم يلتفت اليه لانه كان كما علمنا في شغل شاغل عنه وذهب توًّا الى غرفة الاستقبال لطلب الاستراحة قليلاً

أما ليونار فقد رأَى سيده وعرفه وقد أمعن فيه نظره جيداً وعجب من استسلامه لعوامل الفرح والسرور في حين انه كان يجب ان يزرف الدمع السخين بل يبكي عوض الدمع دماً على ما أصابه ولحق به وأخذ يناجي نفسه قائلاً

مسكين ياسيدي الامير انك لم تعلم بعد ما ألم بك ولو علمت لحزنت وندمت على ما صدر منك ولو كان قلبك من صخر انه يعلل نفسه بزواج سيدتي ماري بشارل ليتمكن من استنزاف اموال هذا الشاب المفسود وهو لا يدري ما أصابه من الخيبة والفشل فياللهمن هذه الغباوة والاَّ قاتل الله الطمع فانه يعمي ويصم

لما استراح الامير قايلاً استدعى اليه ليونار وسأَله عما تمَّ بالقصر في غيبته فتلعثم ولم يستطع الاجابة وكادت تخنقه العبرات فلاحظ الامير عليه ذلك وتعجب من هذا الحال وقال له غاضباً

مالي أَراك كئيباً متردداً فهل حصل في غيابي ما يوجب الكدر. فلبث ليونار جامداً لا ينبس بكلمة ولا يفوه ببنت شفة فهال الكونت هذا السكوت والتردد وقال في نفسه لا بدَّ ان يكون قد حدث في القصر حادث جديد لأَن في حالة ليونار ما يدعو الى الدهشة والوجل فالاجدر ان ادعو ماري لأَستطلع منها حقيقة الخبر

وعلى ذلك أشار الى ليونار قائلاً اذهب واخبر سيدتك ماري اني في انتظارها

قال سمعاً وطاعة يامولاي .

ولما خرج ليونار عادت الى الامير وساوسه وابتداء قلبه يحدثه بوقوع أمر ذي بال ولكنه لم يكن يخطر على باله قط خبر فرار ابنته واقدامها على الهرب .

ولم تمضِ لحظة من الزمن حتى عاد ليونار الى سيده ومعه ذلك الكتاب المعهود الذي خطته ماري بيدها قبل فرارها في تلك الليلة المعهودة فناوله اياه وهو يقول لم أجد سيدتي يامولاي في غرفتها وعثرت على هذا الكتاب موضوعاً على مائدتها فلما اطلع الكونت على هذا الكتاب استشاط غضباً واحتدم غيظاً والتفت الى ليونار وقد كاد الشرر يتطاير من عينيه فسأله بغضب وانفعال :

أين ذهبت ماري ياشقي

قال لا أعلم ياسيدي

قال كيف لا تعلم وأنت هنا حارس القصر والمسؤول عن كل ما يجرى فيه ؟ ثم نهض على قدميه يريد الفتك به فجفل ليونار وتقهقر الى الوراء ثم عاد الكونت فرأى ان ليس من الحكمة والصواب ان يأخذ الأمور بالحدة والنزق وان سياسة اللين والرفق قد تفيد أكثر من الشدة والعنف فأشار الى الخادم ان يخرج من الغرفة ولا يريه وجهه ريثما يهدأ روعه ويسكن هياجه . ومن ثم أخذ يجول في ردهة القصر ذهاباً واياباً وقد أخذ منه الحنق كل مأخذ وهاج الدم في عروقه

ونحن نترك الكونت الآن في هذا الهياج والاضطراب ونرافق القارئ الى حيث كان شارل مع عصابته الفاسدة الشريرة يدبرون تلك المكيدة الهائلة وهي اختطاف ماري في تلك الليلة ونقلها الى ذلك المنفى البعيد حيث لا تراها عين العدالة ولا تصل اليها يد القانون ليعبث هذا اللئيم الفاسد الاخلاق بطهارة

هذه العذراء جزاء لها على احتقاره وعدم اجابة سؤله . وبعد ان دبرت العصابة كل شيء وجهزت كل ما يلزم لاتمام الجناية مع اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة عاد شارل مع زميله يعقوب الى القصر ليتجسسا حالة الفتاة ويتدبرا فيما يجب ان يفعلاه حتى اذا اقبل الليل وارخى الظلام سدوله عمدوا مع باقي اعوانهم الاشرار الى تنفيذ بغيتهم وهم في مأمن من كل خطر . ولما وصل شارل الى القصر ورأى هذا الانقلاب العظيم ووقعت عينه على الامير ارتعدت فرائصه وأيقن بالفشل والخيبة اما الامير فلما شاهد منه هذا الانزعاج والارتباك دعاه اليه وسأله عما جرى في غيبته فعلم شارل ان والد ماري كان يجهل ما عزم عليه هو وباقي زملائه الاشرار فثبت جأشه وقوى جنانه ورأى ان الاجدر استعمال الدهاء والتمويه فقال للامير

اعلم يا سيدي انه قد مضى نحو عشرة أيام بعد رحيلك وأنا ابذل كل ما في وسعي لاسترضاء ماري واجتذابها والتحبب اليها وهي لا تزداد الا صداً ونفوراً حتى عيل صبري وتأكدت خيبة المسعى فغادرت القصر وانا آسف على ما لاقيته من الخيبة وكنت احاول ان اسلو هذه الحبيبة أو انسى هواها ولكن ذهب تعبي من هذه الوجهة ادراج الرياح ولم أكن أعلم قبل الآن ان للحب كل هذه السيطرة وهذا السلطان . وقد جئت اليوم مدفوعاً بعامل الوجد لانطرح بين قدميها وأطلب رضاها وانعطافها اما وقد وجدت سيدي الامير فانا انطرح الآن بين قدميه واستحلفه بما بيننا من الوداد الأكيد والحب المتبادل ان لا يضن عليَّ بافراج كربتي وزوال غصتي

عندئذ مد اليه الامير يده فانهضه واجلسه بجانبه ونظر اليه محملقاً ثم قال بلهجة الانكسار:

هل انت شجاع ياشارل كما اعهدك وهل يجرى دم الشهامة في عروقك

قال وما الداعي ياسيدي الى هذا السؤال فهل يتهددك أحد بأذى

قال لاولكن انت تعلم ان ماري كانت تهوى ضابطاً من الجنود الفرنساوية التي سافرت الى تجريدة مصر في هذه الايام وقد أغراها ذلك الجندي على الفرار فانتهزت فرصة تغيبنا وركنت الى الفرار فهل لك أن تساعدني في اقتفاء أثر ذينك الشقيين لاقتص منهما واصب صواعق انتقامي على رأسيهما

قال عجباً وكيف تجاسرت ماري على الهروب وما هذه الجرأة العظيمة التي صدرت منها حقاً يجب ان نلحقهما ونأخذ بثارنا من ذلك الجندي الاحمق والابنة العقوقة فهيا بنا ياسيدي للانتقام هيا بنا.....

١٣

جهز الكونت وشارل كل ما يلزم من معدات السفر ولم يلبثا ان غادرا فرنسا قاصدين مصر وهما يجدان الطلب في الوقوف على اثر ماري والانتقام من حبيبها

ولما وصلا الى الاسكندرية كان لا بدّ لهما من السفر براً الى العاصمة حيث يفتشان على الابنة الهاربة ويلتقيان بالعدو المغتصب ولم تكن قطارات السكة الحديد وقتئذ منتشرة في مصر ولا كانت وسائل السفر والنقل سهلة ميسورة ولذا كانت سياحتهما شاقه والاخطار التي تتهددهما في طريقهما كثيرة

وفي ذات يوم بينما كانا يضربان في فسيح الخلاء وينهبان الارض نهباً اقبل المساء وارخى الليل سدوله وكانا لم يزالا بعيدين عن المدينة فهالهما الامر وخافا شر العاقبة وكان خوفهما في محله لان الأمن العام لم يكن بعد مستتباً في الاقاليم المصرية وخصوصاً في تلك الجهات المقفرة وكان شارل قد ملّ السفر وابتدأت تنبعث فيه عوامل التذمر ويئس من العثور على ماري وكان يود

الرجوع الى بلاده وترك الامير وحده ولكنه كان يريد انتهاز فرصة مناسبة لانفاذ عزمه حتى كانت هذه الليلة الدهماء فالتفت الى الامير وقد ظهرت على وجهه امارات الضجر فقال : ما اصعب السير في هذا الطريق المقفر المحفوف بالمكاره والاخطار ولا سيما في هذا الليل البهيم والظلام المدلهم تحت اصوات البرق والرعود ·

فأجابه الكونت تجلد يابني ولا تظهر الضجر واعلم اننا عما قليل نحظى بنيل الوطر ما دمنا نثابر على هذا السير وتذكر اننا انما تجشمنا كل هذه الاتعاب لنأخذ بثارنا من ذينك الشقيين فلا نعدل عن عزمنا ما دام دم الانتقام يجري في عروقنا

أجاب شارل دعنا الآن من هذه الافكار ولا تعلل نفسك بالانتقام أو أخذ الثار فقد تأكدَّ لي الآن اننا لايمكننا ان نجدهما او نقف على اثرهما فالاصوب عندي ان نرجع من حيث أتينا ونكفي نفسنا مؤونة هذا التعب الذي لا طائل تحته

انا لا أروم تشفياً ولا انتقاماً بل يكفيني ان أعود الى بلادي سالماً واني استودعك الله الآن

قال أتتركني وحدي ياولدي في مثل هذه الظروف الحرجة

قال وماذا عساني ان افعل وقد محضتك النصح فلم تقبل

وبينما هما يتكلمان هكذا سمعا على بعد فجأة صوت اقوام تدنو منهما يتخللها قعقعة سلاح ولكنهما لم يكونا يستطيعا تمييز شيء لان الظلام كان حالكا فارتعدت فرائصهما وأيقنا بالهلاك فوطن شارل عزمه على الفرار ونظر الى الامير دي بور بون فقال له بانزعاج : يظهر ان جماعة من اللصوص قد كمنوا لنا في هذه الطريق الوعرة فلا بد من الاسراع بالفرار أجاب الامير اني أرى يا بني نفسي ضعيفاً لا أقدر على الفرار قال اذا كنت غير قادر على ذلك فدعني اذن انجو بنفسي قال اهكذا تكون المروءة والنخوة ايسوغ لك ان تتركني وحدي فريسة للموت وهوله وقد أقسمت لي ان تكون معي الى آخر نسمة من حياتي فتعال بنا نتعاون على الدفاع عن ارواحنا فاما ان نخلص معاً أو نموت معاً قال لا بل مت انت وحدك فكفاني ما لاقيته من الاتعاب وما تجشمته من الاوصاب بسببك

قال ذلك ثم اختفى عن الابصار ولم يعد يراه أحد فبقي الامير وحده وهو يناجي نفسه قائلاً آه ياله من نذل جبان اهذا هو الرجل الذي علقت به آمالي ورجوت الخلاص على

يده من مصائبي وحراجة موقفي فما أعظم حمقي وما أشد غباوتي

ولم يلبث برهة حتى احتاطت به عصابة اللصوص الاشرار ودنا زعيمهم منه وأخذ يهدده بالقتل ان لم يسلمهم كلما يمتلكه فحاول بادىء بدء ان يدافع عن نفسه فقبضوا عليه وشدوا وثاقه وهو يستغيث بهم ويستعطفهم وهم لا يرفون ولا يشفقون وبيناهم على هذا الحال ما يشعروا الا وقد أقبلت فرقة من الجند فذعرت عصابة اللصوص وفرت هاربة وقد تركت فريستها ترتعد رعباً وجزعاً

أما الأمير فكان وقتئذ قد أغمي عليه من هول المصاب . فدنا قائد العساكر منه وأخذ ينبهه بالتدريج من اغمائه حتى افاق وصار يجول بنظره الى من حوله وهو لا يصدق بالنجاة

ولا شك ان القارىء اللبيب يهمه الآن ان يعرف من هم هؤلاء العساكر ومن هو رئيسهم وكيف أرسلتهم العناية الى انقاذ هذا الامير في مثل هذه الساعة بعد ان كان على شفا جرف هار من الهلاك

فهؤلاء العساكر كانوا من الفرنساويين وقائدهم هو بطل روايتنا كليبر وقد كان تعود على الخروج كل ليلة مصحوباً بشرذمة من العساكر لتفقد أحوال الامن فسمع انين هذا المسكين وعلم انه من ابناء جلدته فبادر في الحال الى نجدته

دنا كليبر من هذا الشيخ فعرفه وعجب من وجوده في هذا المكان ثم انهضه وهو يقول :

قم ايها الشيخ الجليل واشكر الله على نجاتك من الموت فحملق اليه الامير وكان قد عرفه من ملامح وجهه ولهجة صوته واعتراه الذهول والاندهاش فرفع نظره الى العلا وأخذ يدمدم قائلا :

يالله ما ذا أرى هل عدوي الالد الذي آتيت لانتقم منه يكون سبب انقاذي ونجاتي وصديقي الذي عوّلت عليه يتركني ساعة الخطر وحدي فسبحانك اللهم ما أجلّ حكمتك وما أعظم قدرتك فلقد جازيتني بما استحق وهديتني الى سبيل الحق . ثم جثا على ركبتيه بين يدي كليبر وهو يقول : عفواً ياسيدي عفواً فلقد اسأت اليك وأنت لا تستحق الا الاكرام ولكن مهما كان ذنبي عظيماً فحلمك أعظم والعفو من شيم الكرام

قال هون عليك ياسيدي فلست بحاقد عليك واني أحمد الله الذي ارسلني اليك ولكن قل لي بالله هل تغيرت افكارك الآن بخصوص زواج ابنتك

قال تسألني ياسيدي عن فكري في هذا الأمر وأنت تعلم انني قد أصبحت الآن مديوناً لك بحياتي فحقاً ان ابنتي يا سيدي لا تستحق الاك وكلنا يارب الشهامة فداك ويا ليت ذلك

يكفر عن سيآتي ويمحو شيئاً من ذنوبي وزلاتي . ولكن ويلاه أين هي ابنتي الآن يا ترى وهل هي على قيد الحياة اني ابتدأت أشعر منذ الآن بعظيم خطائي وسوء تصرفي . ومن ثم أخذ يقص على كليبر كل ما جرى بعد سفره وعادا كلاهما الى حيث أعد له القائد محلاً لائقاً لاقامته وشرع في بث العيون والارصاد في كل مكان للوقوف على أثر ماري

١٤

كان كليبر جالساً ذات يوم في حديقة قصر له ومعه المهندس الفرنساوي المشهور (بروتين) وهما يشتغلان بتخطيط بعض الرسوم الهندسية حتى اذا انتهيا من عملهما اسند القائد رأسه الى يده وغرق في بحار الهواجس والافكار وقد اشتد به الوجد والهيام وتمثلت امامه حبيبته ماري وقد طال به عهد فراقها وقنط من الاجتماع بها فازرف الدمع وكان لسان حاله يقول :

حبيبـة قلبي أين أنتِ لعلني ... أفوز بقرب منك ياغاية المنى
وكيف يطيب العيش لي بعد بعدنا ... ومن ذا الذي يرضى بعيش به العنا
تذكرت أيام النعيم وقربنا ... وما حزت فيها من سرورٍ ومن هنا
فهيج قلبي في الغرام تذكري ... لدار بها كان الزمان حليفنا
سلامٌ على الدنيا وكل سرورها ... سلامٌ على دهر قضى اوطارنا
سلامٌ عليكِ ياحبيبـة انني ... أسير هواك فليتم لك المنى

فلما رآه رفيقه بروتين على هذه الحال رقَّ له وأخذ يواسيه ويسليه ثم نهضا كلاهما للخروج من الحديقة واذا برجل لا يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر قد دنا من القائد وقدم اليه عريضة بدعوى انه مظلوم وقد أتى الى ساحة عدله لينصفه من ظالمه وبينما كان القائد يجيل نظره في تلك العريضة هجم عليه ذلك الوحش المفترس فطعنه عدة طعنات بخنجر كان معه فخر على الارض صريعاً لا يبدي حرا كا فاسرع المهندس وضرب القاتل بعصا كانت في يده ونادى العساكر ورجال الضبط فقبضوا على الجاني وسيق الى المحاكمة حيث حكم عليه بالاعدام على طريقة (الخازوق) المعروفة في ذلك الوقت والقاتل يسمى سليمان الحلبي من مجاوري

الازهر وكان له في هذه الجناية شركاء آخرون حكم عليهم بالاعدام أيضاً وهكذا ذهب ذلك الرجل العظيم والبطل الباسل فريسة الخيانة والغدر بعد ان كان النصر حليفه في كل وقائعه الحربية وقد خرج منها سالماً غانماً . وقد شيعت جنازته باحتفال عظيم مشى فيه كل عميد ووجيه حيث واروه التراب مأسوفاً عليه من الجميع

وفي هذا اليوم نفسه كان وصول ماري الى القاهرة بعد ان قاست من الاتعاب والمشقات في سياحتها مالا يوصف وقد استخدمت بصفة خادم حقير في احدى السفن التي أتت بها الى الاسكندرية ومنها قدمت الى القاهرة فوجدت الناس في هرج ومرج ولما استطلعت حقيقة الامر وعلمت بوفاة حبيبها هالها الامر ووقع هذا الخبر على قلبها أشد من السهام وما زالت تفتش وتبحث عن قبر حبيبها الذي دفن بالامس حتى عرفت مكانه فقصدته وفي قلبها من الألم والحزن نار مشتعلة وقد هاجت فيها عواطف الوجد والهيام وعوَّلت على الانتحار ولما وصلت الى تلك المقبرة نزعت رداءها وجثت على ركبتيها فبللت قبر حبيبها بدموعها السخينة وهي تقول :

آه يا حبيبي ما أشقاني وما أتعس حظي لقد كنت اعلل نفسي بالتمتع برؤيتك والاجتماع بك بعد تجشم كل هذه الاخطار والاهوال فخانني القدر ولم ينصفني الدهر فما فائدة الحياة أذن وما نفعها . مهلاً ياحبيبي لا تخف ولا تيأس فانه اذا كان قد قضى علينا بالفراق في هذه الحياة فها انا سألتقي بك عن قريب و يضمنا قبر واحد

قالت ذلك ثم أمسكت خنجراً كانت قد خبأته تحت ثيابها فطعنت به صدرها ووقعت لا حراك بها وفي اليوم الثاني انتشر خبر انتحارها وقد أتى والدها فشاهدها على هذه الحالة المريعة فبكى وانتحب وتأسف على ما صدر منه ولم يلبث ان اورده الحزن حتفه ومات ضحية الكمد والندم وهكذا راحت هذه العائلة كلها شهيدة العناد والاستبداد (والزواج القسري) فليحذر الاباء من هذا الداء العياء وليرفقوا باولادهم وليتقوا الله في فلذة اكبادهم والا كان هذا مصيرهم والعاقل من اذا نظر العبرة اعتبر والسلام على من اتبع الهدى



تمت